العدد السادس والعشرون
2009

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا
1377 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2009 مسيحي

- ملامح عن المذهب المالكي في الغرب الإسلامي
- الخطاب الإسلامي مميزاته والتحديات التي تواجهه
- الشيخ محمد عبده وصلاته بأعلام الإصلاح في المغرب الكبير
- اللغة وصناعة الهوية

د. سالم سليبك

لا أبالغ إذا قلت: إن حروف المعاني ثلث الكلام العربي[1]، وذلك بالنظر إلى الأجزاء التي يتألف منها: الاسم والفعل والحرف، ولا أعني بذلك الكم العددي في المستعمل من الأدوات، فإن هذا غير منظور إليه، لأن ورود كل جزء منها في الكلام إنما يجيء بحسب المعنى المراد، وبصورة تلقائية لا بقصد المتكلم.

والحروف: جمع حرف، وللحرف في اللغة معان كثيرة، واستعمالات مختلفة[2].

فالحرف: طرف الشيء وحده وشفيره ومنتهاه. والحرف: واحد حروف الهجاء أ ـ ب ـ ت ... الخ، والحرف: القراءة، وكل كلمة من القرآن تقرأ على وجوه يسمى كل واحد منها حرفاً كقولهم: هذا في حرف ابن مسعود، أي: في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه[3].

(1) سميت حروف المعاني: لأنها توصل معاني الأفعال وشبهها إلى الأسماء بعدها.

(2) انظر تعريف الحرف في ديوان الأدب الفارابي 1: 119 ومعجم المقاييس 2: 42 واللسان م (حرف).

(3) السابق نفس المادة.

والحرف: بمعنى اللغة ومنه الحديث: «نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف»[1]، فالمراد بالحرف هنا اللغة قال أبو عبيد وأبو العباس: «نزل القرآن على سبع لغات من لغات العرب»[2]، بمعنى أن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فأكثره بلغة قريش، وبعضه بلغة اليمن، وبعضه بلغة هوازن... الخ.

وحرف الجبل: أعلاه المحدد. والحرف: الناقة الضامر، قال زهير[3]:

متى تشاء أحملك والرأس مائل على صعبة حرف وشيك ضمورها

والحرف: الوجه الواحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾[4]، فإذا أطاعه في السراء، وعصاه في الضراء فقد انحرف بالعبادة عن الوجه المطلوب. والحرف: واحد حروف المعاني، ومنها (من) الجارة[5]، وهي المقصودة هنا.

وعرف النحاة الحرف بأنه: (كلمة دلت على معنى في غيرها) بمعنى أن دلالة الحرف بالواسطة، بخلاف الاسم والفعل فإنهما يدلان على المعنى بالذات وتوضيح ذلك: أن الحرف لا يدل على المعنى الموضوع له إلا إذا جاء في جملة، فـ (من) مثلاً حرف جر، والأصل في معانيها الابتداء، و(لم) حرف يجزم المضارع، ويقلب معناه إلى المضى وينفي وقوعه، و(هل) حرف استفهام، وهذه المعاني لا تستفاد من هذه الأدوات إلا إذا جاءت في جمل، مثل : خرجت من البيت، ولم يقم خالد، وهل حضر علي؟ ومثل ذلك بقية الأدوات، وإن اختلفت في الدلالة على المعنى المقصود منها.

---

(1) المحرر الوجيز لابن عطية 1: 21 وما بعدها وإعراب القرآن للنحاس 5: 231.

(2) اللسان، م (حرف).

(3) السابق المادة نفسها، وأساس البلاغة 1: 861 ومعجم مقاييس اللغة 2: 42.

(4) الحج: 11.

(5) سيأتي الحديث عن معاني من الجارة: ابتدائية وتبعيضية وزائدة... الخ.

وتنقسم حروف المعاني إلى عاملة ومهملة، والأول ما اختص بمدخوله ولم يعتبر كالجزء منه، وليس بلازم أن يعمل الحرف المختص، فالسين وسوف حرفان مختصان بالدخول على المضارع، ومثل ذلك: (الـ) المختصة بالأسماء، فهذه الثلاثة لا عمل لها لاعتبارها كالجزء من مدخولها، وجزء الشيء لا يعمل فيه، وهذا واضح يدرك بأدنى تأمل.

وأما المهمل منها فهو ما لم يختص بالدخول على الأسماء أو الأفعال[1]، كهل والهمزة في الاستفهام، وحروف العطف، ولولا، ولو وهلا، وغير ذلك مما ليس له تأثير في مدخوله، وإن أفاد المعنى الموضوع له.

ولأهمية هذه الحروف خصها النحاة بمزيد من الاهتمام، وذلك لدورها في الربط بين أجزاء الكلام، فمنهم من أفرد لها كتباً خاصة لا تُعنى بغير الحروف، مثل: كتاب حروف المعاني للزجاجي، والأزهية للهروي، والرصف للمالقي، والجواهر للإربلي، والجنى الداني للمرادي، والجزء الأول من المغني لابن هشام.

ومنهم من ذكرها مختلطة بموضوعات النحو، وهو ما نقف عليه في الكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد، والأصول لابن السراج، وشرح التسهيل لابن مالك، والتصريح للأزهري، والهمع للسيوطي... الخ، والربط الذي يستفاد من هذه الأدوات يختلف من حرف لآخر فالربط في (إن) الشرطية مثلاً هو تعليق الجواب على الشرط، بمعنى أن وقوع الجواب متوقف على حصول الشرط، وإذا انتفى الأول انتفى الثاني، فهما كالسبب والمسبب.

والربط بمن الجارة هو تعدية الفعل الذي قبلها إلى الاسم الذي بعدها، فإذا قلت: خرجت من البيت فـ (من) في المثال رابطة، إذ لا يقال: خرجت البيت، ومثل ذلك: الربط بباقي الأدوات عاملة كانت أو مهملة[2].

---

(1) ابن عقيل 1: 26.

(2) لا يتجرد الحرف عن المعنى الموضوع له وإن كان مهملاً.

ولما كان موضوع الأدوات طويلاً، ولا يمكن استيفاؤه في مثل هذه الدراسة الموجزة، فقد اخترت من بينها (مِن) الجارة موضوعاً لهذا البحث، آملاً أن أقدم شيئاً ذا بال في مجال الدراسات اللغوية لفائدة دارسي النحو وخاصة المبتدئين منهم.

وتوضيح معاني (من) يتوقف على إيراد مثلها، وتتبع استعمالاتها في لسان العرب، والوقوف على اختلاف النحاة في بعض مواضعها، ثم اختيار الأصح منها، مما له سند من كلام العرب شعراً ونثراً.

فـ(من) حرف جر[1] ثنائي، مبني على السكون، يختص بالدخول على الأسماء، وهي أم الباب ولذلك تجر كل اسم، وتتصدر حروف الجر في كثير من كتب النحو، قال ابن مالك[2]:

هاك حروف الجر وهي من إلى حتى خلا حاشا عدا في عن على

وتكون أصلية وزائدة، وستأتي أمثلة كل منهما.

و(من) تلزم الحرفية ولا تفارقها بحال، خلافاً لمن زعم أنها تكون فعل أمر من مان بمعنى: كذب، فيكون الأمر: (من) لأن ذلك حاصل بالاتفاق وليس بوضع الواضع[3].

ومن العرب من يحذف نون (من) إذ تلتها (ال) فيقول: (ملقوم) في من القوم، و(ملآن) في من الآن[4]، وزيادة (ما) بعدها لا تكفها عن العمل، كقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾[5]، ومثل ذلك: عن والباء من حروف الجر.

---

(1) سميت حروف الجر لأنها تجر معاني الأفعال وشبهها إلى الأسماء بعدها. وقال الرضى: لأنها تجر الأسماء بعدها. وكلا القولين صحيح، فهي حروف إيصال وخفض في آن واحد. شرح الكافية 4: 261.

(2) انظر الخلاصة بشرح ابن عقيل 1: 341.

(3) الجواهر ص 268.

(4) الرصف ص 325.

(5) نوح 25.

وتحرك (من) بالفتح إذا وقعت بعدها (ال) تخلصا من الساكنين نحو: مـنَ الله، ومنَ الرسول، وقياس الساكن الأول إذا كـان صـحيحاً أن يحـرك بالكـسر، وإنما حرك هنا بالفتح طلباً للخفة، قال سيبويه: (لما كثرت في كلامهـم، ولم تكـن فعلاً، وكان الفتح أخف عليهم فتحوا، وشبهوها بأين وكيف)[1].

وهذا الفتح ليس بلازم، وإنـما هـو الكثـير والغالـب في الاسـتعمال، وإن بعض العرب يكسر نون (مـن) قبـل (ال) وهـو مـا أشـار إليـه سـيبويه بقولـه: (وزعمـوا أن ناسـاً مـن العـرب يقولـون: مِـنِ الله، فيكـسرونه ويجرونـه عـلى القياس)[2]، وأيضاً فإنه مما يدعو إلى فتح نون (من) قبل (ال) كسر ميم (من) فإذا كسروا النون اجتمع كسران في حرف خفيـف مبنـى عـلى حـرفي هجـاء، وهـذا بخلاف نون (عن) فإنها تحرك بالكسر لا غير نحـو: «والنـاهون عـن المنكـر»[3]، وذلك لأن ما قبل النون مفتوح، أما إذا كان الساكن غير (ال) نحو: مـن ابنـك، ومن امرأته، فالمسألة مختلف فيها: فكسر النونَ قوم على القياس، وهو الأكثـر في كلامهم، وفتح آخرون فأجروها مجرى من الله، ومن الناس[4].

ـ معاني من الجارة:

تجيء (من) لمعان كثيرة، أوصلها بعضهم إلى خمسة عشرة معنى[5] أشـهرها ما يلي:

1 ـ من لابتداء الغاية:

تكون من لابتداء الغاية في المكان كالتي في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[6]، ونحو: سرت مـن طـرابلس

(1) الكتاب 4: 153 ـ 154.

(2) الكتاب 4: 154 وإعراب النحاس 1: 187.

(3) التوبة: 112.

(4) الكتاب 4: 154 ـ 155.

(5) ابن يعيش 8: 10 والرصف 322 والمغني 1: 353.

(6) الإسراء: 1

إلى غريان، فدلت (من) على أن ابتداء السفر من طرابلس وإلى على انتهائه بغريان، وهذا مجمع عليه.

ومجيئها لابتداء الغاية في الزمان مختلف فيه، فمنعه أكثر البصريين[1]، وتأولوا كثيراً من النصوص مما كانت فيها (من) للزمان، وأثبته الكوفيون والأخفش والمبرد وابن درستويه من البصريين، واختاره ابن مالك[2]، وهو الحق، واعتمد القائلون بمجيئها لابتداء الغاية في الزمان على شواهد كثيرة من القرآن، ومن كلام العرب شعراً ونثراً، وهي:

أدلة صحيحة واضحة الدلالة على الزمان، منها قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[3]، فأول يوم اسم زمان دخلت عليه (من) وقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[4]، وجاء في حديث الاستسقاء: (فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة)[5]. وقول عائشة ـ رضي الله عنها: (لم يجلس عندي من يوم قيل فيّ ما قيل)[6]، تعني رسول الله (ﷺ). وما روي من أن رسول الله (ﷺ) قال لفاطمة رضي الله عنها: (هذا أول طعام أكله أبوك من ثلاثة أيام)[7].

وقول الشاعر[8]:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

(1) قال سيبويه: (وأما من فتكون لابتداء الغاية في الأماكن) الكتاب 4: 224.

(2) معاني الأخفش 2: 337 وشرح التسهيل 3: 131.

(3) التوبة: 108.

(4) الجمعة: 9.

(5) صحيح البخاري 2: 36 وشواهد التوضيح 131.

(6) السابق 5: 152.

(7) إعراب الحديث ص 35.

(8) ديوان النابغة 11 وشرح التسهيل 3: 132 وابن عقيل 1: 350.

تخـيّرن مـن أزمـان يـوم حليمـة إلى اليوم قـد جـربن كـل التجـارب

وقول الآخر[1]:

إني زعـــيم يـــا نويقـــة ـــة إن أمنـــت مـــن الـــرزاح

ونجـــوت مـــن عـــرض المنـــو ن مـــن الغـــدو إلى الـــرواح

ومع وفرة هذه الشواهد وكثرتها الدالة على مجيء (من) لابتداء الغاية في الزمان يصر كثير من البصريين على المنع، ويذهبون إلى التأويل، وتقدير أشياء لا تزيد المسألة إلا صعوبة.

فهذا الأنباري يحدو حدو البصريين في القول بعدم مجيء (من) للزمان فيقدر مضافاً بعد (من) في آية التوبة: «من تأسيس أول يوم»[2].

وهو تقدير ظاهر الضعف والتكلف، وهو ما جعل السهيلي يرده بعنف قائلاً: (وليس يحتاج في قوله: (من أول يوم إلى إضمار، كما قدره بعض النحاة: من تأسيس أول يوم فراراً من دخول (من) على الزمان.. فإضماره للتأسيس لا يفيد شيئاً، و(من) تدخل على الزمان وغيره)[3].

والذي ذهب إليه السهيلي قال به العكبري والمرادي وابن مالك والرضى والسيوطي[4]، وقد تقدم أنه مذهب الكوفيين ومن وافقهم من البصريين.

2 ـ من للتبعيض:

تجيء (من) للتبعيض، وضابطها صحة وقوع (بعض) موقعها نحو: أخذت من مال زيد، ومنه قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[5]،

(1) شرح الكافية الشافية 1: 105 وشرح التسهيل 3: 133.

(2) البيان 1: 405.

(3) الروض الأنف 2: 246.

(4) التبيان 2: 660 والجنى 308 وشرح التسهيل 3: 131 والرضى 4: 264 والهمع 4: 212.

(5) آل عمران: 92.

أي: بعض ما تحبون، ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود: «بعض ما تحبون»[1]، والمبرد يقول: بإفادة (من) للتبعيض إلا أنه يرجعها إلى ابتداء الغاية قال: (وكونها في التبعيض راجع إلى هذا، وذلك أنك تقول: أخذت مال زيد، فإذا أردت البعض قلت: أخذت من ماله، فإنما رجعت بها إلى ابتداء الغاية)[2].

وفي شرح المفصل نحو ذلك، قال ابن يعيش: (وابتداء الغاية لا يفارقها في جميع ضروبها، فإذا قلت: أخذت من الدراهم درهماً، فإنك ابتدأت بالدرهم، ولم تنته إلى آخر الدراهم، فالدرهم ابتداء الأخذ إلى أن لا يبقى منه شيء، ففي كل تبعيض معنى الابتداء)[3]. وقال ابن مالك: (ومجيء (من) للتبعيض كثير)[4].

ودلالة (من) على التبعيض في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾[5]، واضحة.

إذ المعتدون في السبت بعض بني إسرائيل، ومثل ذلك (من) في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[6]، فكلام الرسل ثابت لبعضهم كموسى عليه السلام، ومواضع (من) التبعيضية في القرآن كثيرة واضحة، يتوقف فهمها على قليل من التأمل في ألفاظ القرآن الكريم.

3 ـ من لبيان الجنس:

وتأتي (من) لبيان الجنس، ويقع التعبير عنها أحياناً بـ (من) البيانية وهي التي يكون ما بعدها جنساً شاملاً لما قبلها، وأكثر ما تقع بعد (ما)

(1) الكشاف 1: 445 وشرح التسهيل 3: 134.

(2) المقتضب 1: 44.

(3) 8: 13.

(4) شرح التسهيل 3: 133.

(5) البقرة: 65.

(6) البقرة: 253.

و(مهما) لشدة إبهامهما، قال ابن هشام[1]: (وأكثر ما تقع بعد (ما ومهما) وهما بها أولى لإفراط إبهامهما نحو قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[2]، فـ (من) في الآية بيانية واقعة بعد (ما) ومثلها (من) في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾[3]، ومثالها بعد (مهما) قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا ﴾[4]، وجاءت غير مسبوقة بواحدة منهما كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾[6]، فـ (من) الأولى ابتدائية، وقيل: زائدة، وأما الثانية فلبيان الجنس أي: يحلون فيها أساور من ذهب، وهذا على رأي الأخفش من البصريين، وأما هم فلا يقولون بزيادتها في الإيجاب. والبيان واضح في (من) من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[7]، فـ (من) في هذين الموضعين بينت مادتي خلق الإنسان والجان.

و(من) البيانية ومجرورها في موضع نصب حال إذا كان ما قبلها معرفة، وصفة إذا كان نكرة.

ولزيادة توضيح (من) البيانية قال بعضهم لـ (من) البيانية علامتان: صحة وضع الذي موضعها، وجواز جعلها صفة لما قبلها.

---

(1) المغني 1: 354.

(2) فاطر: 2.

(3) البقرة: 106.

(4) الأعراف: 132.

(5) الحج: 30.

(6) نفسها: 23.

(7) الرحمن: 14، 15.

وقد يجتمع في (من) أكثر من معنى، وهذا ما نقف عليه في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾[1]، فـ (من) الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، والثالثة لبيان الجنس، لأن الجبال تكون من برد ومن غيره.

4 ـ من الزائدة:

ترد (من) زائدة في الكلام، وهي التي لا يخلُّ حذفها بالمعنى، أي يكون دخولها كسقوطها، وهذا عام في كل حرف زائد كالباء والكاف واللام... الخ، ومعنى زيادة (من) هذه تحدَّثَ عنه سيبويه فقال: (وقد تدخل (من) في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيماً، ولكنها توكيد بمنزلة (ما) إلا أنها تجر. لأنها حرف إضافة وذلك قولك: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد، ولو أخرجت (من) كان الكلام حسناً ولكنه أكد بمن)[2].

وهذا التوكيد الذي يشير إليه سيبويه فسر بأمرين:

1 ـ التنصيص على العموم إذا كان مدخولها لا يفيد العموم نحو: ما جاءني من رجل وما رأيت من امرأة.

2 ـ توكيد العموم، وهي الداخلة على ألفاظ العموم مثل: ديار وأحد تقول: ما جاءني من أحد وما فيها من ديار، فـ (من) هنا أكدت العموم المستفاد مما قبلها: أحد، ديار الواقعين في سياق النفي.

وفي المقتضب ينكر المبرد أن تكون (من) زائدة في موضع، ثم يثبتها في موضعين آخرين منه، قال: (وأما قولهم: إنها تكون زائدة فلست أرى هذا كما قالوا، وذاك أن كل كلمة إذا وقعت وقع معها معنى فإنما حدثت لذلك المعنى وليست بزائدة)[3].

---

(1) النور: 43.

(2) الكتاب 4: 224.

(3) 1: 45.

غير أن الثابت عنه في موضعين آخرين من المقتضب يخالف قوله هذا، فقد جاء: (وأما الزائدة التي دخولها في الكلام كسقوطها فقولك: ما جاءني من أحد وما كلمت من أحد)[1].

وقال أيضاً: (وذلك قولك: ما جاءني من أحد إلا زيدٌ، على البدل، لأن (من) زائدة، وإنما تزاد في النفي، ولا تقع في الإيجاب زائدة)[2]، ويبدو لي أن ذلك لا يعد تناقضاً منه، وهي مسألة تقع في فنون مختلفة كالفقه والأصول وغيرهما، فقد يقول العالم بقول ثم يظهر له رأي آخر مخالف للأول فيثبته مع ما تقدمه، وعلى القارئ أن يوازن بين القولين ويختار ما قوي عنده لكثرة القائلين به، أو لصحة أدلته المستمدة من كلام العرب، وفي مسألتنا هذه يترجح القول بزيادة (من) في بعض المواضع بالشروط المنصوص عليها في كتب النحو وهو القول المختار الذي يعضده المعنى وينطبق عليه ضابط الحرف إذا كان مزيداً.

ولا تزاد (من) عند البصريين إلا بشرطين:

1 ـ أن يكون مدخولها نكرة.

2 ـ وأن تسبق بنفي أو نهي أو استفهام.

وأجاز الأخفش[3]، وقوعها في الإيجاب وجرها المعرفة.

قال ابن مالك: (وبقوله أقول لثبوت السماع بذلك نثراً ونظماً)[4]، وجعل من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[6].

---

(1) انظر 4: 423.

(2) السابق: 420.

(3) معاني القرآن 2: 488.

(4) شرح التسهيل 3: 138.

(5) الأنعام: 34.

(6) البقرة: 271.

ومن النظم قول الشاعر[1]:

وينمـــى لهـــا حبهـــا عنـــدنا فـما قـال مـن كاشـح لم يـضر

أراد فما قال كاشح لم يضر، وقول الآخر[2]:

لما بلغـت إمـام العـدل قلـت لهـم قد كان من طول إدلاجي وتهجيري

وغير ذلك من النصوص التي استدل بها على مجيء (من) الزائدة في الإيجاب.

وممن قال بزيادة (من) في الإيجاب الكسائي[3]، وحمل على ذلك قول النبي (ﷺ): (إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون)[4]، فمن عنده زائدة، ولم يتقدم عليها نفي أو شبهة.

ولا يخلو مجرور (من) الزائدة من أن يكون واحداً من ثلاثة أشياء:

1 ـ أن يكون فاعلاً ومنه قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾[5]، فـ (من) الأولى زائدة ومجرورها فاعل (يأتيهم) ومثل ذلك (من) في قوله تعالى: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[6].

2 ـ أن يكون مبتدأ نحو: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[8].

---

(1) شرح التسهيل 3: 138.

(2) السابق: 139.

(3) الأزهية 236 والجنى 318 والارتشاف 4: 1723.

(4) صحيح مسلم 37: 824.

(5) الأنبياء: 2.

(6) المائدة: 19.

(7) الأعراف: 65.

(8) فاطر: 3.

3 ـ أن يكون مفعولاً به نحو: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ ﴾[1]، ونحو: ما رأيت من أحد، فـ(من) في مثل هذه المثل زائدة لا تحتاج إلى متعلق ودخولها كخروجها، وإنما تفيد التنصيص على العموم أو توكيده، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

4 ـ وتجيء (من) للتعليل نحو: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾[2]، أي: لأجل الصواعق. ومن ذلك قول الفرزدق[3]:

يغضي حياء ويُغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

أي: لأجل مهابته، وفي هذا المعنى قول عائشة رضي الله عنها: (فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان، الشغل من رسول الله ـ (ﷺ)[4].

تريد: يمنعني الشغل من أجل رسول الله ﷺ.

5 ـ و(من) بمعنى بدل، نحو: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[5]، أي: بدل الآخرة وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴾[6]، ومعنى البدلية هنا واضح، ومثل ذلك قول الشاعر[7]:

جاريـــة لم تأكـــل المرققـــا ... ولم تـذق مـن البقـول الفـستقا

وقول الآخر[8]:

أخذوا المخاض من الفصيل غُلبّة ... ظلماً ويكتب للأمير أفيلا

---

(1) الشعراء: 208.

(2) البقرة: 19.

(3) المغني 1: 355.

(4) صحيح مسلم 19: 199.

(5) التوبة: 38.

(6) الزخرف: 60.

(7) ابن عقيل 1: 351 والمغني 1: 355.

(8) شرح التسهيل 3: 134 والمغني 1: 355.

أي بدل الفصيل. والأفيل الصغير.

6 ـ ومن معاني (من) المجاوزة، فتكون مرادفة لـ (عن) في المعنى ومنه قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1]، أي: عن ذكر الله، ومثل ذلك (من) في قوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾[2]، أي: عن هذا.

7 ـ وتأتي (من) للاستعلاء، ومثلوا لها بقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾[3].

أي: على القوم، وحمله بعضهم على التضمين[4]، أي: منعناه منهم بالنصر.

8 ـ وقد جاءت (من) بمعنى (الباء) نحو: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾[5]، ونحو: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[6]، أي: بطرف خفي، وبأمر الله.

9 ـ ومن معاني (من) الظرفية، فتكون مرادفة لـ (في) في المعنى، نحو: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾[7]، ونحو ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾[8]، وتأتي (من) لمعان أخر سوى ما أثبته هنا، فمن أرادها كاملة فليطلبها في مظانها من كتب النحو والأدوات.

ومسألة نيابة بعض الحروف عن بعض أجازها الكوفيون وبعض البصريين غير أن الكثير منهم يتحفظ على ذلك، ويذهب إلى القول بالتضمين أو التأويل، هذا هو الثابت في كثير من كتب النحو والمفهوم لدى المتخصصين فيه وبالرجوع إلى الكتاب اتضح أن سيبويه أجاز نيابة بعض الحروف عن بعض فقد

---

(1) الزمر: 22.

(2) الأنبياء: 97.

(3) نفسها: 77.

(4) المغني 1: 357.

(5) الشورى: 45.

(6) الرعد: 11.

(7) فاطر: 40.

(8) الجمعة: 9 وكونها لابتداء الغاية في الزمان أظهر.

قال وهو يتكلم عن (عن): (وقد تقع (من) موقعها أيضاً، تقول: أطعمه من جوع وكساه من عرى)[1]، (فمن) في هذين المثالين للمجاوزة أي: أطعمه عن جوع وكساه عن عرى، والمبرد هو الآخر ممن يقول بهذا النيابة، فقد جاء عنه: (كما تدخل الإضافة بعضها على بعض، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[2]، أي: بأمر الله[3]، وقال في موضع آخر مما جاءت فيه (في) للاستعلاء: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[4]، أي: على. وقال في ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾[5]، أي: يستمعون عليه.

وقال الشاعر[6]:

هم صلبوا العبديّ في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجذعا

أي: على جذع نخلة.

وقال الآخر[7]:

إذا رضيت عليّ بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها

أي: عني.

وبمثل ذلك قال ابن السراج والزجاج وابن جني، ومن المتأخرين ابن مالك والمالقي والمرادي وابن هشام والأزهري والسيوطي وغيرهم، ومن هنا يتضح أن القول بنيابة الحروف بعضها عن بعض هو الأقوى لكثرة القائلين به،

---

(1) الكتاب 4: 227.

(2) تقدم تخريجها.

(3) المقتضب 2: 319.

(4) طه: 71.

(5) الطور: 38.

(6) المقتضب 2: 319 والمغني 1: 183.

(7) المقتضب 2: 320 وابن عقيل 1: 356.

ولأنه أقرب إلى الفهم، وأيسر من القول بالتضمين والتأويل الذي قال به بعض البصريين والذي لا يزيد المسألة إلا تعقيداً.

وقبل إنهاء هذه الدراسة أود الإشارة إلى أمرين يتعلقان بـ (من) الجارة:

الأول: أن الغالب في (من) أن تكون للابتداء أو التبعيض أو البيان أو الزيادة وقد تقدمت أمثلتها، وهذه هي المعاني الأصلية لها، ومجيئها للاستعلاء أو الظرفية أو المجاوزة أو التعليل... الخ، موضع خلاف بين النحاة يقول به بعضهم ويرده آخرون.

الثاني: تجيء (من) محتملة لأكثر من معنى في اللسان العربي، وتبعاً لذلك اختلفت آراء النحاة فيها بين الابتداء والبيان والتبعيض والزيادة فـ (من) في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[1]، للتبعيض، أو بمعنى (في) وقال الأخفش: (من) زائدة[2].

و(من) في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾[3]، للتبعيض عند ابن عطية. (ولابتداء الغاية عند أبي حيان): وقال الطبري: وتبعه مكي: هي بمعنى بدل[4].

و(من) في قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[5]، بمعنى (عن) لقولهم: تحسست عن فلان، وجعلها بعضهم للتبعيض وقيل: للبيان[6].

واختلف في معنى (من) في قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[7]، فهي عند أبي حيان للتبعيض،

(1) البقرة: 125.

(2) التبيان 1: 113 والبحر 1: 609.

(3) الأنعام: 132.

(4) البحر المحيط 4: 651: 652.

(5) يوسف: 87.

(6) الجمل 2: 447.

(7) النحل: 25.

وعند الأخفش زائدة، وقال الواحدي: ليست للتبعيض؛ لأنه يستلزم تخفيف الأوزار عن الأتباع، وذلك غير جائز... لكنها لبيان الجنس[1].

وفي قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[2]، جرى الخلاف في (من) بين التبعيض والزيادة وبيان الجنس، وهذا كثير في اللسان العربي وفي كلام الله عز وجل. وهو موضوع يحتاج إلى المزيد من الجهد والوقت وإلى تتبع مواضع الاختلاف هذه في دراسة مستقلة يكون لها أثر طيب لدى دارسي اللغة والمتخصصين فيها

*** وبالله التوفيق ***

(1) التبيان 2: 793 والبحر 6: 520.

(2) النور: 30.

مراجع البحث

1 ـ أساس البلاغة/ الزمخشري، مركز تحقيق التراث، دار الكتب/ 1972م.

2 ـ إعراب النحاس/ النحاس، تحقيق د. زهير غازي، مكتبة النهضة/ 1988م.

3 ـ إعراب الحديث/ العكبري، تحقيق عبد الإله نبهان، دمشق/ 1977م.

4 ـ البيان الأنباري، تحقيق د. طه عبد الحميد، وزارة الثقافة/ 1969م.

5 ـ البحر المحيط/ أبو حيان، بعناية صدقي جميل ومن معه، دار الفكر/ 1992م.

6 ـ الجنى الداني/ المرادي، تحقيق قباوة ومحمد فاضل، دار الكتب العلمية/ 1992م.

7 ـ جواهر الأدب/ الإربلي، تحقيق د. إميل يعقوب، دار النفائس/ 1991م.

8 ـ حاشية الجمل/ الجمل، مطبعة عيسى البابي الحلبي/ مصر.

9 ـ الخلاصة/ ابن مالك بشرح ابن عقيل، طبع كلية الدعوة الإسلامية.

10 ـ ديوان النابغة الذبياني/ النابغة، تحقيق كرم البستاني دار صادر بيروت.

11 ـ ديوان الفارابي/ الفارابي، تحقيق د. أحمد مختار مجمع اللغة العربية/ 1974م.

12 ـ الروض الأنف/ السهيلي، تعليق طه عبد الرؤوف سعد/ 1972م.

13 ـ الارتشاف/ أبو حيان، تحقيق د. رجب عثمان/ 1998م.

14 ـ الرصف/ المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دمشق/ 1975م.

15 ـ الأزهية/ الهروي، تحقيق عبد المعين الملوحي، دمشق/ 1971م.

16 ـ شرح التسهيل/ ابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د. مختون، دار هجر/ 1990م.

17 ـ شرح ابن عقيل/ ابن عقيل، تحقيق د. إميل يعقوب، ط كلية الدعوة الإسلامية.

18 ـ شرح الكافية/ الرضى، تعليق د. يوسف عمر ـ جامعة قاريونس.
19 ـ شرح الكافية الشافية/ ابن مالك، تحقيق د. هريدي، دار المأمون/ 1982.
20 ـ شرح المفصل/ ابن يعيش، بعناية وتعليق جماعة من مشيخة الأزهر، المنيرية.
21 ـ شواهد التوضيح/ ابن مالك، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الدار العربية/ 1957م.
22 ـ صحيح مسلم/ مسلم/ ط دار الشعب.
23 ـ صحيح البخاري/ البخاري، ط دار الشعب.
24 ـ الكتاب/ سيبويه/ تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت/ 1991م.
25 ـ الكشاف/ الزمخشري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ 1966م.
26 ـ اللسان/ ابن منظور، دار صادر بيروت/ 1994م.
27 ـ المقتضب/ المبرد، تحقيق د. محمد عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية/ 1963م.
28 ـ معجم مقاييس اللغة/ ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون/ 1969م.
29 ـ المحرر الوجيز/ ابن عطية، وزارة الأوقاف المغرب/ 1975ف.
30 ـ المرتجل/ ابن الخشاب، تحقيق علي حيدر، دمشق/ 1972م.
31 ـ المغني/ ابن هشام، تحقيق مازن المبارك ومن معه، دار الفكر دمشق/ 1964م.
32 ـ معاني القرآن/ الأخفش، تحقيق د. فايز فارس/ 1979م.
33 ـ الهمع السيوطي/ تحقيق عبد السلام هارون ومكرم، مؤسسة الرسالة/ 1987م.